مقدمة في التفسير

أسلوبنا في التفسير:

1-الالتزام بالآيات القرآنية وعدم الخروج منها

2-الاهتمام البالغ بالأحاديث المفسِّرة

3-عدم التطرق إلى أقوال المفسِّرين إلا ما شذَّ و ندر

4- التدبر والاستنتاج

5-الاعتماد على سياق الآيات

6-الاعتماد على المقاطع المختلفة في السورة الواحدة

7-ملاحظة أدوات الربط بين الآيات

مقدمة في تفسير سورة الفاتحة

أسماؤها وسبب تسميتها بها

الأول: أم القرآن أو أم الكتاب

الثاني: فاتحة الكتاب

الثالث: السبع

الرابع: المثاني

شأنها

نصف لي ونصف لعبدي:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَانِ الرَّحِيمِ)

شأن البسملة:

متعلق الجار و المجرور

ارتباط البسملة بالسورة

التدبُر في البسملة

الف: الأكل بلسم الله:

ب: حركة السفينة باسم الله:

ج: أهم الأعمال:

د: سليمان وبسم الله:

هـ: التسبيح باسم الرب:

و: القراءة بلسم الرب:

الصفتان في اللغة

معنى للشجن:

الجمع بين الرحمن والرحيم

الصفتان في القرآن

أمّا الرحمن:

وأمّا الرحيم

رحمان الدنيا ورحيم الآخرة

الفضل و الرحمة

اختصاص الاسمين بالله

كلمة الحمد في اللغة

أهميَّة مقام الحامدين

شمولية الحمد

المحمود الأحمد

الحميد

التوحيد الأفعالي

"رب" و "العالمون" في اللغة والاصطلاح

عالم الخلق وعالم الأمر

رب موسى وهارون

النبي و الوصي

القرآن مظهر لربِّ العالمين

عالم الآخرة من العالمين

إشراقة

التكرار

الرجوع إلـى الله

الإختصاص بيوم الدين

اختلاف القراءة

الإحاطة القيوميَّة

إلهامٌ عَرْشي

ما هو الدين

أســـــمـــاء القيامة

أسما وصفات الآخرة

يوم الدين

اللعنة و العذاب

يوم الدين هو يوم الفصل

إلاّ من رحم الله

رحمة الله

الأنبياء و الـرحـمـة الإلهيَّة

آمال الأنبياء

دعاء نوح(ع)

موسى و الرحمة

التوسل بالرحمة

يوم الغدير يوم الفصل

مفهوم كلٍّ من العبادة و الاستعانة

فوائد

1-الالتفات و الهدف منه

الالتفات في أم الكتاب

2-الحصر المستفاد من إياك

1-الحصر:

وحدَه

الحصر بلكنّ

الحصر بإنما

الحصر بإلا في سياق النفي

تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر

عبادة الله على حرف

الشهود

الاستعانة باللــه وحده

لماذا التكرار؟

الاستعانة

1-ما تتعلق بالنبي يعقوب (ع)

2- ما ترتبط بالنبي الأكرم (ص)

وحدة السياق

المفاهيم المستفادة منها

و أمّا الاستعانة

و أمّا الصبر و الصلاة

وراثة الأرض

الرجوع إلى الله و لقائه

الخشوع

العاقبة للمتقين

(اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)

الهداية

الهداية من الله وحده

مقدمات ومتطلبات الدعاء للهداية

بعض مصاديق الآية

1-التبعيَّة و الإطاعة للرسول

2-الإيمان و إخبات القلب

3-القنوت لله وشكر أنعمه

الغاية من العبادة

الصراط والسبيل

الإطمئنان والسكينة

الاعتصام بالله

الاستمساك

الإطاعة و التبعيَّة

الهداية إلى الصراط المستقيم

الف:المطاع

ب:المطيع

ج:الجزاء

د:المنعمون و النعمة

أمّا النعم الماديَّة

وأمّا النعم المعنوية

نعمة الرسالة ونعمة الولاية

تسلسل المراتب

إبراهيم عليه السلام

الأجر الدنيوي و الأجر الأخروي

المرحلة الأولى : مرحلة دنيوية:

- **قبول الأعمال**

2-أمن مكّة

3- إقامة الصلاة

4-محبَّة الذريّة

5-الإسلام

6- رؤية المناسك

7-بعثة الرسول(ص)

المرحلة الثانية : الأمور الأخرويَّة

1-غفران الذنوب

2-الإلحاق بالصالحين

الف : الأجر :

ب : الاصطفاء :

ج : حسنة :

3-الحصول على الصالحين

إسحاق ويعقوب (ع)

(عن أبي جعفر عليه السلام ، يفسِّر الآية المباركة وأنَّها نزلت في شأن أهل البيت عليهم السلام فراجع

2-أئمة يهدون بالأمر

وقال تعالى :

(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلاً جَعَلْنَا صَالِحِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَ أَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ)

و النافلة هي المنحة والفضل من الله تعالى ، وقد ورد في الحديث :

((قر الفزارى عن احمد بن الحسين الهاشمي عن محمد بن حاتم عن الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: و جعلنا منهم ائمة يهدون بأمرنا، قال: نزلت في ولد فاطمة عليها السلام))

وفي كنز العمّال بالإسناد عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية قال: ((**يعنى الأئمة من ولد فاطمة يوحى إليهم بالروح في صدورهم))**

إسماعيل (ع)

وقال تعالى: (فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلاَمٍ حَلِيمٍ) وهو إسماعيل (ع) ، وقد وردت في شأنه آيات كثيرة تؤكّد على أنَّه من الذين أنعم الله عليهم بالصلاح والدخول في الرحمة الإلهية ومن ثمَّ الاهتداء إلى الصراط المستقيم . فلنتدبَّر في النقاط التالية:

1-كلمة الصالحين الواردة في قوله تعالى :

(وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنْ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنْ الصَّالِحِينَ)

2-الهداية إلى الصراط المستقيم .

(وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

3-التأكيد على أنَّ الهداية هي هدى الله وأنَّها تختص بعباد الله في الآية التي بعدها وهي :

(ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فهي تنسجم مع قوله تعالى: **"اهدنا الصراط المستقيم"** الواردة بعد قوله: **"إياك نعبد".**

4-الأمر بالإقتداء بهداهم ثمَّ التركيز على أجر الرسالة في الآية الأخيرة وهي :

(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ قُلْ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ)وقد مرَّ الحديث عنها فراجع .

الإقتداء بإبراهيم عليه السلام

إنَّ الله سبحانه وتعالى يركّز على تبعيَّة ملّة إبراهيم، وهو الدين الإسلامي الحنيف ، قال تعالى:

(وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنْ الصَّالِحِينَ)

فكلّ من لا يشتاق إلى ملّة إبراهيم فهو قد سفه نفسه بيده و ابتعد عن البصيرة والتعقل ، فمن الذي لا يحب الإقتداء بمن اصطفاه الله ؟ ومن الذي لا يرغب في أن يكون من الصالحين في الآخرة ؟ .

مميزات إبراهيم

قد بيَّنا مواصفات إبراهيم الخليل -عليه السلام - وهي تتلخَّص في أمور :

الف: كونه أمّة قانتاً: (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)

ب:شكره للنعم . (شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ) وعلى أثر ذلك استطاع الوصول إلى نتائج أربعة هي:

الف: الإجتباء (...اجْتَبَاهُ)ب: الهداية إلى الصراط المستقيم (وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)ج : الحسنة في الدنيا (وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً ...)د : كونه في الآخرة من الصالحين (وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ).

الرسول الأكرم (ص) يتَّبع ملة إبراهيم

(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) ونستفيد من كلمة **"ثم"** أنَّ هناك فاصلاً زمنياً بين إبراهيم عليه السلام وبين الرسول الأكرم (ص) وقد بيَّنا سابقاً أنَّه (ص) مع ذلك أوّل المسلمين، ومن هنا قال تعالى :

(وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّين مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)

ومن ناحية أخرى يخاطب الله رسوله فيقول:

(قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنْ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ) فالدين القيِّم هو الهداية إلى الصراط المستقيم وهو ملّة إبراهيم وقد وردت أحاديث كثيرة أنَّ الموالين لعليٍّ عليه السلام هم على ملّة إبراهيم، نشير إلى بعضها. **ففي** تفسير العياشي **((عن حبابة الوالبية قال : سمعت الحسين بن على عليهما السلام يقول : ما أعلم أحدا على ملة إبراهيم إلاّ نحن وشيعتنا))**

((عن اسحق بن عمار عن عباد ابن زياد قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : يا عباد ما على ملة إبراهيم أحد غيركم))

وفي أصول الكافي بإسناده :

((عن عبد الله بن عجلان عن أبى جعفر عليه السلام في قوله تعالى : (إِنَّ أَوْلَى النَّاس بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِين)قال: هم الأئمة عليهم السلام ومن اتبعهم))

الرسول الأكرم محمد(ص) على صراط مستقيم

ثمّ مع النظر إلى ما مرَّ من قوله تعالى :**(ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَن اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** يمكننا أن نعرف ما تشير إليه الآية المباركة حيث يقول سبحانه :**(فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)**

وقد وردت أحاديث كثيرة حول **السؤال** نشير إلى حديث واحد فقط وهو :

((الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن محمد بن أورمة عن على بن حسان عن عمه عبد الرحمن بن كثير قال :قلت لأبي عبد الله عليه السلام : في قوله : (وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ)قال : إيانا عنى ونحن أهل الذكر ونحن المسئولون))

وقال تعالى مخاطباً رسوله :

(يس ، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ، إِنَّكَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ ، عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ)

و قد وردت آية في شأن إبراهيم الخليل مخاطباً أباه :**(يا أبتِ إنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًا)**

هذا

ولا يختص الأمر بإبراهيم الخليل بل جميع الأنبياء كانوا يتمتَّون الاجتباء و الاهتداء إلى الصراط المستقيم.**قل تعالى :**

(وَ زَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَ إِلْيَاسَ كُلٌّ مِنْ الصَّالِحِينَ ، وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمِنْ آبَائِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

وعند بيان منزلة سليمان، يقول سبحانه :

(حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِي النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ)

ولعلَّ النعمة التي تداركت يونس (ع) الولاية الإلهيَّة في قوله تعالى :

(لَوْلاَ أَنْ تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ، فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنْ الصَّالِحِينَ)

ولا يخفى أنَّ الآية الثانية تؤكّد على ذلك حيث صار عليه السلام من الصالحين .

أمّا سائر الأنبياء فقد تحدَّث عنهم القرآن أيضاً و ميَّز عدداً منهم بأنهم رفعوا مقاماً علياً، كما ورد عن إدريس وذلك بعد أن كان صدِّيقاً نبياً . **ثم قال: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًا) ثم قال:** (**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا...)**

حقيقة الصراط المستقيم

من خلال الآيات السابقة تعرفنا على الصراط المستقيم أنَّه هو الطريق الذي يُسلك وهو غير السالك ؟ فهاهنا سؤال يطرح نفسه وهو:

ما هو الصراط ؟ هل هو جسر مادي؟ أم هو رأي وفكر ؟ لا شكَّ أنَّه ليس مادِّياً بل هو أمر معنوي ، فالقرآن بصريح العبارة أكَّد على أنَّه كذلك فهو خطٌ فكري متمثِّل في شخصيات عظيمة هي الأسوة في الدنيا والآخرة.

يقول الإمام الخميني قدّس سرّه :

" إن حقيقة الصراط هي الصورة الباطنية للولاية ، كما ورد في الأحاديث الشريفة أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الصراط

. وفي حديث آخر : نحن الصراط المستقيم . وفي الزيارة المباركة الجامعة الكبيرة: " أنتم السبيل الأعظم والصراط الأقوم " فمن كان على هذا الصراط مستقيماً في حركته في الحياة الدنيا ، ولم يضطرب قلبه، لما اضطربت أيضاً أقدامه على الصراط في الحياة الآخرة ، وإنما يجتازه كالبرق الخاطف "

وهناك شواهد كثيرة تؤكّد على أنَّ الصراط هو الولاية.

في كتاب معاني الأخبار بإسناده إلى أبى عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل : ((اهدنا الصراط المستقيم))قال : هو أمير المؤمنين ومعرفته الدليل على انه أمير المؤمنين قول الله عز وجل: ((وانه في أم الكتاب لدينا لعلى حكيم)) وهو أمير المؤمنين عليه السلام في أم الكتاب في قوله : ((اهدنا الصراط المستقيم)) .

وهذا لا ينافي الأحاديث الواردة في بيان الصراط في الآخرة وأنَّه جسر على جهنَّم لأنّ عالم الآخرة ليس عالم المادة بل هو تجسيد للحقائق و كشف السرائر وظهور باطن الأشياء. ففي الحديث :**((بإسناده إلى الفضل بن عمرقال :سألت أبا عبد عليه السلام عن الصراط فقال : هو الطريق إلى معرفة الله عز وجل، وهما صراطان : صراط في الدنيا وصراط في الآخرة، فأما الصراط في الدنيا فهو الإمام المفترض الطاعة، من عرفه في الدنيا واقتدى بهداه، مرّ على الصراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا، زلّت قدمه عن الصراط في الآخرة، فتردىّ في نار جهنم))**

خصائص الصراط

وردت أحاديث تبيِّن خصائص الصراط كالحديث التالي:

((بسعدان بن مسلم عن أبى عبد قال : سألته عن الصراط فقال : هو أدق من الشعر وأحدّ من السيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق ومنهم من يمرّ عليه مثل عدو الفرس ومنهم من يمرّ عليه ماشيا ومنهم من يمرّ عليه حبواً ومنهم من يمرّ عليه متعلقا فتأخذ النار منه شيئا وتترك منه شيئا))

ومن الواضح أنَّ الدقَّة و الحدَّة الموجودة في الصراط، ليست مادِّية بل معنويَّة، فمن التزم بالصراط في الدنيا، فهو الذي سوف يتمكَّن من السير عليه في الآخرة. والحديث التالي دليل على ذلك :

((علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن مفضل بن صالح عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال:قال النبي صلى الله عليه وآله : أخبرني الروح الأمين أن الله لا إله غيره إذا وقف الخلائق وجميع الأولين والآخرين أتي بجهنم ثم يوضع عليها صراط أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف، عليه ثلاث قناطر: الأولى عليها الأمانة والرحمة ، والثانية عليها

الصلاة ، والثالثة عليها عدل ربّ العالمين، لا إله غيره فيكلفون الممر عليها فتحبسهم الرحم والأمانة ، فان نجوا منها حبستهم الصلاة ، فإن نجوا منها كان المنتهى إلى رب العالمين جل ذكره وهو قول الله تبارك وتعالى: "إن ربك لبالمرصاد")) والجدير بالذكر ما ورد عن الإمام أبي الحسن الماضي عليه السلام في تفسير قوله تعالى: "أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ "قل: إن الله ضرب مثل من حادّ عن ولاية علي كمثل من يمشى على وجهه لا يهتدي لأمره وجعل من تبعه سويا على صراط مستقيم و الصراط المستقيم هو أمير المؤمنين عليه السلام)).

والشيطان بطبيعته عدوّ للناس، يقول: (**فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ، ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ) ((قال أبو جعفر عليه السلام: يا زرارة إنه إنما صمد لك و لأصحابك فأما الآخرون فقد فرغ منهم))**

الاهتداء إلى الصراط المستقيم

الأسلوب الوحيد الذي يوصل الإنسان إلى درجة الصدِّيقين و الشهداء ينحصر في أمرين رئيسيين، أكَّد عليهما القرآن الكريم في مواطن كثيرة وهما:

"الإيمان و العمل الصالح"

أما الإيمان فينبغي أن يكون بالله واليوم الآخر ورسله التي هي الأسس الرئيسية الثلاثة للعقيدة. **قل تعالى: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)**

وأمّا العمل الصالح فقد بيَّن سبحانه أهم مصاديقه في قوله : **(يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)**

ولا يخفى عليك أنَّ مفهوم الخيرات، مفهوم عام يشمل جميع الأعمال الصالحة فالمهمّ فيها المسارعة وهي تشير إلى الرغبة الكبيرة إلى أدائها والعشق البالغ في إيجادها ، وأبرز من تلك الآيات هي الآية التالية التي تجعلهم هم الصدِّيقين و الشهداء حيث يقول :

(وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ...) وقل تعالى : (أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)

النور هو الإمام

فما هو هذا النور؟ مع تتبع الآيات والأحاديث نعرف أنَّ النور إنَّما هو الإمام سلام الله عليه فهو الذي يستضيء به المؤمن على الصراط وهو نور معنوي ، فالإمام هو الذي يتقدَّم بين يدي المؤمن. وقد ورد في شأن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلَّم :

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا) وقال تعالى **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا)** وقال : **(قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)** وفي الحديث : **((المؤمن ينقلب في خمسة من النور : مدخله نورٌ ، ومخرجه نورٌ ، وعلمه نورٌ ، وكلامه نورٌ ، ومصيره إلى الجنة يوم القيامة نورٌ))**

قال الإمام الخميني قدِّس سرّه :

"ولـهذا النور مراتب ، حسب مراتب إيمان وعلم ذوي النور. ولابد من معرفة أن هذا النور الحقيقي الموجود في قلوب أهل الإيمان والعلم ، لما كان من أنوار عالم الآخرة ، ينير في عالم الآخرة حسب فعالية النفس بالنور الحسي. وحيث أن هذا النور هو الذي ينير الصراط ، يكون نور طائفة مثل نور الشمس وأخرى مثل نور القمر حتى ينتهي الأمر إلى نور يضيء أمام قدميه فقط))

وهذا النور لشدَّته سوف ينتقل إلى المؤمن الحقيقي نفسه ، ذلك لأنَّه قد انسجم مع إمامه انسجاماً كاملاً. في الحديث عن النبي الأكرم محمد صلوات الله عليه وآله : **((إذا مرّ المؤمن على الصراط طفئت لهب النيران و يقول: جز يا مؤمن، فإن نورك قد أطفأ لهبي))** .

هذا وهؤلاء الصالحون هم الذين سوف يرثون الأرض لا محالة كما في قوله تعالى : **(وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)**

وسوف تشرق الأرض بنورهم و يعمّ الخير جميع الموجودات ويزول الظلم من العالم تماماً بلطف الله تعالى و رحمته، إنَّهم يرونه بعيداً و نراه قريباً. نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لمشاهدة تلك النورانية الشاملة بظهور إمامنا **المهدي** عجَّل الله تعالى فرجه الشريف .

****

(صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ)

قبل أن نتعرَّف على المغضوب عليهم والضالين ينبغي أن نقدِّم أموراً خمسة:

الأمر الأول : اختلاف الصِيَغ

مما يثير انتباه القارئ للآية الأخيرة من سورة الحمد هو اختلاف الصيغ الواردة فيها فهي على أشكالٍ ثلاثة :

الأول: أنعمتَ عليهم : فهي قد وردت فعلاً ماضياً مع تاء الخطاب المتوجِّه إلى الله تعالى ، ذلك لأنَّ النعمة تكون منه وإن كان للعبد دور ما في تحصيلها.

الثاني: غير **المغضوب** عليهم: وهي ليست بفعلٍ بل اسم مفعولٍ مشتق من فعلٍ لم يسمَّ فاعله، فالمغضوب عليهم معلوم إلا أن الذي حلَّ الغضب على هؤلاء، غير مذكور وهذا بخصوص **أم الكتاب** الذي له دور الأمومة لجميع الآيات الأخرى، وهو المفسِّر لتلك الآيات فهناك آيات كثيرة تؤكِّد على أنَّ الغضب إنَّما هو من الله جلّ شأنه ولكن بعد أن وصل العبد إلى مستوى من العصيان بحيث كان يستحقُّ حلول الغضب واللعن عليه كما هو شأن بني إسرائيل الذين باءوا بغضب من الله.

الثالث : و لا الضالين : وهو اسم فاعلٍ لازم غير متعدٍ إلى المفعول به ، وهذا يعني أنَّ الضال هو لا غير ومن هنا يمكننا أن ننطلق إلى الآيات الأخرى الواردة في حقيقة الضلال و أصله ونعرف السر في استناده إلى العبد تارة وإلى الله أخرى كما سيأتي.

الأمر الثاني : التقسيم الثلاثي للإنسان الهابط

ونعني من الإنسان الهابط ، الإنسان الذي تورَّط في عالم الدنيا والمفروض أن ينتقل منها بسلام.

فالسورة المباركة بما أنَّها تبيِّن الصراط المستقيم المتجسِّد في الولاية الإلهيَّة، تقسِّم كافة الناس الذين هبطوا من دار كرامة الله و تورَّطوا في عالم الدنيا إلى ثلاثة أقسام رئيسيَّة:

1-**الذين أنعم الله عليهم**، وهم الذين تحدَّثنا عنهم تفصيلاً.

2-**المغضوب عليهم**، وهم المبعَدون عن الرحمة الإلهيَّة العامَّة لسائر الناس وهم أشد الناس انحطاطاً و سقوطاً.

3-**الضالين**، وهم لم يبعدوا عن الرحمة العامَّة حيث لم تحلّ عليهم غضب الله، بل هناك أملٌ في رجوعهم إلى الصراط المستقيم، وهذا يرجع إلى سعيهم في ذلك.

الأمر الثالث: الصفتان في اللغة و الشرع

قال الراغب الإصفهاني في المفردات:

"الغضب: ثوران دم القلب و إرادة الانتقام ... و إذا وصف الله تعالى به فالمراد به الانتقام دون غيره .

الضلال: العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية ،ويقابل الضلال لكلِّ عدول عن المنهج عمدا كان أو سهوا ، يسيرا كان أو كثيراً ."

وفي الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام في قوله "غير المغضوب عليهم" : ((**استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين به وبأمره ونهيه**))

وعنه عليه السلام في تبيين قوله تعالى "و لا الضالين": ((**اعتصام من أن يكون من الذين ضلّوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا**)).

الأمر الرابع : النسبة بين المغضوب عليهم و الضالين

عند مراجعة القرآن الكريم يمكننا أن نعرف النسبة الموجودة بين المغضوب عليهم وبين الضالين وهي نسبة **العموم والخصوص المطلق** بمعنى أنَّ الضالين أعمّ من المغضوب عليهم فكلُّ من غضب الله عليه فهو ضال دون العكس، وذلك لأن الضلالة تقابل الهداية كما تدلُّ عليه الآيات الكثيرة قال تعالى:

(فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ. . .)

وقال تعالى:

(. . . مَنْ يَشَأ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

فالذي لا يسير على الصراط المستقيم يُعتبر ضالاً أياً كان، سواء غضب الله عليه أم لم يغضب .

الأمر الخامس : منشأ الهداية و الضلالة

المستفاد من القرآن الكريم أنَّ الهداية و الضلالة تنشئان ممن يقود الأمَّة وهو الإمام الذي يؤمّ الناس، فهو إن كان إمام هدىً، فيهتدي به الناس و إن كان إمام ضلال، فيضلّ به الناس:

(يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُوْلَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً)

وقد فسَّر سيد الشهداء -عليه السلام - الآية المباركة و هو في منزل الثعلبية حيث ورد عليه رجل يقال له بشر بن غالب فسأله عن الآية المباركة، فقال عليه السلام:

((إمام دعا إلى هدىً فأجابوه إليه، وإمام دعا إلى ضلالة فأجابوه إليها، هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار))

ثمَّ يقول سبحانه:

(وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً)

وذلك لأنَّ في الآخرة تجسُّد للملكات التّي يتَّصف بها الإنسان في الدنيا فالذي لا يتَّبع إمام هدىً فهو ضالّ عن سبيل الله لا محالة لأنه لا يرى طريقه كي يمرَّ عليه حيث لا وليَّ له قال تعالى:

(وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا)

فالسرائر سوف تنكشف هناك حيث قال تعالى:

(فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ)

وليعلم:

أنَّ اللطف الإلهي يقتضي هداية الناس إلى الطريق القويم و الصراط المستقيم، فمن يتخلَّى عن ذلك، فلا محالة سوف ينحرف فيقع على خلاف الجهة الإلهيَّة، ومادام لم يبتعد كلَّ الابتعاد عن المقصود وهناك أملٌ في رجوعه، فسوف لا يتركه ربّه بل يدعوه أن يرجع إلى فطرته الأولى و ينهيه عن الاستمرار في مسيرته و يحرِّضه إلى التوبة والإنابة و الرجوع، وهذا ما تدلّ عليه جميع الآيات الناهية رغم اختلاف المنهي عنه وهي كثيرة قد بيَّت بنحو كلّي و تطرَّقت إلى المصاديق الخاصة وأهمّها الآيات التي تنهى عن تبعيَّة المضلّين وأقربها إلى ما نحن بصدد بيانه قوله تعالى:

(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

فجميع السبل هي التي تفرِّق الإنسان عن سبيل الله.

قل تعالى:

(اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ)

فالمشكلة كامنة في تبعيَّة الأولياء الذين هم من دون **ما أنزل** إلى الناس من ربِّهم وقد بيَّنا المقصود من ما أنزل إليهم من ربِّهم

وهي الولاية الإلهية فراجع . ومن الواضح أنَّ سبيل هؤلاء هو سبيل المفسدين حيث قال تعالى:

(وَأَصْلِحْ وَلاَ تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)

ثم

إنَّ الظاهر كما أنَّ أصحاب الصراط المستقيم لهم تشخُّص و تعيُّن خاص في العالم الخارجي، كذلك الفرقتان لهما وجود في العالم الخارجي والله يشير إليهما على لسان عباده وهم يطلبون الهداية إلى الصراط المستقيم فيقولون: (**صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ**) خصوصاً في الصلاة الذي هو من أهم الأركان العبادية التي يمارسه الإنسان طوال معيشته في الحياة الدنيا في كلِّ عصر ومصر ، فإذاً لكلٍّ من الفريقين وجود في العالم الخارجي ، هذا هو الظاهر من السورة فمن هم إذاً ؟

المغضوب عليهم

فلنبدأ بالصفة الأولى وهو:

إنَّ القرآن الكريم قد بيَّن المغضوب عليهم في آيات مختلفة ولكن الملاحظ أنَّه تعالى ركَّز على اليهود خاصَّة وهم بنو إسرائيل وذلك لاتصافهم بمواصفات سيئة. لذلك من اللازم أن نتطرق إليهم أولاً ثم نتعرَّف على الأسباب التي أدَّت إلى حلول غضب الله عليهم كأمَّة منحرفة عن الصراط المستقيم ثانياً. وأخيراً نستخرج الأمور العامَّة التي ينبغي أن يتجنب عنها المؤمنون كأمَّة و كأفراد كي يصانوا من الغضب الجماعي والفردي .

بنو إسرائيل

قال تعالى في شأنهم :

(يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)

فهم قد فضِّلوا على العالمين كمجتمع يقوده نبيّ له الولاية الإلهية ، والمفروض أن يقدِّروا تلك النعمة ويعظموها لأنَّها كانت منشأ لسائر النعم المادِّية و المعنوية :

(سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)

ولكنَّهم بدَّلوا نعمة الله و طغوا فانحرفوا عن الصراط واستمرَّت المفاسد واحدة تلو الأخرى، تواجههم جرَّاء السقوط، كما قال

تعالى مخاطباً بني إسرائيل :

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى)

ثم إنَّ سورة البقرة قد فصَّلت هذا الأمر حيث قال تعالى :

(وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمْ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنظُرُونَ)

فالمشكلة تكمن في عدم الإيمان بموسى عليه السلام رغم جميع البركات والخيرات التّي كان عليه السلام يحملها لهم كتضليلهم بالغمام و أكلهم الطيبات التي هي نتائج طبيعية لشمولية الولاية الإلهيَّة :

(وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمْ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)

ثمّ : يذكرهم الله تعالى بأمر آخر ألا وهو :

(وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ)

والأحاديث تركّز على أنَّ الولاية هي باب حطَّة :

((أمير المؤمنين عليه السلام في حديث طويل : ونحن باب حطّة))((في كتاب التوحيد بإسناده إلى أبي بصير عن أبى عبد الله عليه السلام قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته : أنا باب حطته))((و روى عن الباقر عليه السلام قال :قال : نحن باب حطتكم))

سيأتي شرح ذلك في سورة البقرة إن شاء الله تعالى. ولكن المشكلة وقعت عندما خالفوا هذا الأمر:

(فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)

إلى أن يقول :

(وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمْ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)

فمشكلة هبوط مصر هي التّي كانت أم المشاكل لأنَّها جرَّتهم إلى الذل و الانحطاط فقد باءوا بغضب من الله ، فمكانهم المناسب كان يشتمل على الغضب، فكيف بغيره من الأمكنة.

وفي الواقع إنَّما غضب الله عليهم لأنَّهم تركوا هارون و توَّجَّهوا نحو العجل حيث يقول :

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ)

والآية الأخيرة تبيِّن موطن كلٌ من الغضب والذلّة ، فالغضب موطنه الآخرة و الذلّة موطنها الدنيا وإن كان بينهما ترابط وثيق وكلٌ ينعكس على الآخر .

والأحاديث أيضاً تؤكّد على أن المصداق البارز للمغضوب عليهم هم بنو إسرائيل أعني اليهود. ففي مجمع البيان عن رسول الله صلى الله عليه وآله :

((إن الله تعالى منَّ عليَّ بفاتحة الكتاب إلى قوله ، " غير المغضوب عليهم " اليهود " ولا الضالين " النصارى .))

وفي الاستبصار روى الحسين بن سعيد عن حماد بن عيسى عن معوية بن وهب **قل** : قلت لأبي عبد الله عليه السلام :...**إلى أن قل :(("غير المغضوب عليهم ولا الضالين " ؟قل : هم اليهود والنصارى))** والظاهر أنَّ هذا من باب اللف والنشر فمفهوم الحديث هو نفس الحديث السابق .

وليعلم أنَّه من خلال ما ذكرناه لا يستنتج بأنَّ اليهود هم المغضوب عليهم فقط بل هم الضالون أيضاً، كما يستفاد من بعض الآيات القرآنية خصوصاً عند ملاحظة معنى كلمة الضلال في اللغة و الشرع ، ولكن لأنَّ صفة المغضوب عليهم هي أشدّ و أغلظ، فلا داعي لتوصيف المغضوب عليهم بالصفة الثانية أعنى الضلال .

وقد وردت الآية التالية أيضاً في شانهم حيث قال تعالى :

(قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ)

في تفسير الإمام أبي محمد الحسن العسكري (ع):

((قوله تعالى: "غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ "قال الإمام عليه السلام : قال أمير المؤمنين عليه السلام : أمر عز وجل عباده أن يسألوه طريق المنعم عليهم وهم : النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وأن يستعيذوا به من طريق المغضوب عليهم وهم اليهود الذين قال الله تعالى فيهم :" قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ

"وأن يستعيذوا به من طريق الضالين وهم الذين قال الله تعالى فيهم : " قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ" وهم النصارى . ثم قال أمير المؤمنين عليه السلام : كل من كفر بالله فهو مغضوب عليه وضال عن سبيل الله عز وجل))

حرمة تولّي اليهود

لقد نهى الله سبحانه وتعالى تولّي هؤلاء القوم حيث قال:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنْ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ)

فهم ليسوا بكفّار بالمعنى الأخصّ للكلمة بل هم أهل الكتاب وهم اليهود كما مرَّ ، وقوله تعالى: "غضب الله عليهم في الآيتين صفة **للقوم** " فلا يشمل غيرهم .

وقال تعالى : **(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ، أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)**

ففي تفسير على بن إبراهيم : ((**نزلت في أحدهم لأنَّه مرَّ به رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس عند رجل من اليهود يكتب خبر رسول الله صلى الله عليه وآله فأنزل الله تعالى : " أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلاَ مِنْهُمْ " فجاء الثاني إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال رسول الله : رأيتك تكتب عن اليهود ، وقد نهى الله عن ذلك فقال : يا رسول الله كتبت عنه ما في التوراة من صفتك وأقبل يقرأ ذلك على رسول الله وهو غضبان ، فقال له رجل من الأنصار : ويلك أما ترى غضب النبي صلى الله عليه وآله عليك ؟ فقال : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله صلى الله عليه وآله...))**

والرواية طويلة أخذنا منها موضع الحاجة.

ولا يخفى عليك أنَّ قوله تعالى في الآية التي قبلها **(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)**تفيد أنَّ هناك تبايناً بين إطاعة الله ورسوله وبين تولّي اليهود فلا يجتمعان أصلاً .

أسباب حلول الغضب على الأمة

الآن وبعد أن تعرفنا على أبرز مصداق "المغضوب عليهم"، ينبغي أن نتعرَّف على الأسباب التي أوصلت بني إسرائيل إلى هذا المستوى من الذل والخزي الدنيوي و حلول غضب الله عليهم في الآخرة، ومن ثمَّ نستنتج المعايير العامّة التي تجرّ الأمّة إلى تلك **المعضلة** .

1شرح الصدر بالكفر

بنحو يكون الإنسان راغباً في الكفر مائلاً إليه قال تعالى :

(مَنْ كَفَرَ باللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)

وقد بيّن سبحانه السرّ في حلول هذا الغضب وقال :**(ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ)**والذل الذي يشملهم في الدنيا هو ما بيَّنه سبحانه وتعالى بقوله : **(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)**

وأما الغضب الأخروي فيبيِّنه سبحانه بقوله :**(لاَ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ)**

2-تبديل نعمة الله

(سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) فقوله تعالى: (**وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ)** عام شامل لكلّ من يتّصف بهذه الصفة ، فكلُّ من يبدّل نعمة الله فسوف يبتلي بالعذاب الشديد .

وعليه ورد الحديث في بصائر الدرجات عن عبد الله بن محمد عن موسى بن القاسم عن جعفر بن محمد عن سماعة عن بن عبد الله بن مسكان عن الحكم بن الصلت عن أبى جعفر عليه السلام قال :

((قال رسول الله صلى الله عليه واله : خذوا بحجزة هذا الأنزع يعنى علياً فانه الصديق الأكبر ، وهو الفاروق يفرِّق بين الحقّ والباطل ، من أحبَّه هداه الله ، ومن أبغضه أضلّه الله ، ومن تخلَّف عنه محقه الله ، منه سبطاي الحسن والحسين وهما ابناي ، ومن الحسين الأئمة الهداة ، أعطاهم الله فهمي ، وعلمي ، فأحبّوهم وتولّوهم ولا تتّخذوا وليجة من دونهم ، فيحلّ عليكم غضبٌ من ربّكم ، ومن يحلل عليه غضبٌ من ربِّه فقد هوى ، وما الحيوة الدنيا إلاّ متاع الغرور))

3-الافتراء

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ)

فالآية المباركة عمّمت الأمر على كلّ مفتر من هذا النمط أي**مبتدع.** وقد ورد في تفسير الآية المباركة حديثٌ في أصول الكافي علي بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن المنقري عن سفيان بن عيينة عن السدي عن أبي جعفر عليه السلام قال :

((ما أخلص عبدٌ الإيمان بالله أربعين يوماً أو قال : ما أجملَ عبدٌ ذكرَ الله أربعين يوماً إلاّ زهده الله في الدنيا وبصَّره داءَها

ودواها ، وأثبت الحكمة في قلبه ، وأنطق بها لسانه ، ثمَّ تلا : " إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ "فلا يرى صاحبُ بدعةٍ إلاّ ذليلاً ، ومفترياً على الله عز وجل وعلى رسوله وأهل بيته صلى الله عليهم إلاّ ذليلاً .)) ولو راجعنا الأحاديث الشريفة في تفسير العجل وتأويله لعرفنا السرّ في التعميم الوارد في هذا الحديث .

4-الطغيان

(كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى) فالمجتمع الطاغي أي المتجاوز الحدّ في العصيان سوف يحلُّ عليه غضب الله و بالنتيجة سوف يؤدِّي ذلك إلى الهوى أي السقوط والهلاك و هو الهبوط من عالم المعنى إلى عالم المادة والظاهر وفي تفسير "الغضب الإلهي" قد ورد حديث في الكافي:

((بإسناده إلى حمزة بن المرقع عن بعض أصحابنا قال : كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له : جعلت فداك قول الله تبارك وتعالى : " وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى " ما ذلك الغضب ؟ فقال أبو جعفر عليه السلام : هو العقاب يا عمرو إنَّه من زعم أن الله قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق و إن الله عز وجل لا يستفزه شيء فيغيره))

الضالون

ثم :

مادام قد عرفنا بأنَّ كلَّ من لم يكن على الصراط المستقيم فهو ضالّ أياً كان سواء غضب الله عليه أم لم يغضب، فينبغي أن نتعرَّف على هؤلاء الضالين و نبحث عنهم في القرآن الكريم، فهم يشكّلون ثلاث فرق رئيسيَّة :

1-مشركون

المشرك هو الذي يعتقد أنَّ هناك شريكاً لله تعالى فيجعله شفيعاً يتقرَّب إليه :**(وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ...)**وهو أعلى مستوى من الانحراف عن الصراط المستقيم حيث يقول سبحانه:**(يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَا لاَ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ)**ومن هنا يقول سبحانه بصريح الكلمة : **(وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيدًا)**

2-كفّار

لا نعني الكفر بالله فحسب، بل يشمل المعتقدات الأساسيَّة ، فينبغي أن يتبنَّاها المؤمن و يتيقّن بها بالبرهان وفي صورة ما لو أخلَّ بواحدة منها، فهو قد ضلَّ و انحرف عن الصراط المستقيم .**قال تعالى :**

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا)

ومن نتائج تلك المعتقدات، أن يتجنَّب الإنسان التوجُّه إلى الطاغوت، بل ينبغي له أن يكفر به ويعاديه تلبية لما أمره الله وإلاّ سوف يتورَّط بالشيطان، فيضلّه عن السبيل :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا)

والجدير بالذكر ما ورد بعد تلك الآية مباشرة، حيث يقول سبحانه :

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا)وسوف نتحدَّث عن المنافقين وأنَّهم متورِّطون في القبح بأبشع مصاديقه .

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالاً بَعِيدًا)

الضلال البعيد

تلاحظ في الآيات السابقة التركيز على الضلال البعيد ، والبعد هو ضد القرب ، وحيث أنَّه وقع صفةً للضلال الذي هو أمر غير محسوس فأريد منه الضلال الذي يصعب الرجوع منه إلى الهدى، فالضال بالضلال البعيد لا يكاد يرجى له العود إلى الصراط المستقيم ، لأنَّه لا يبقى له شيء يعتمد عليه وهذا هو شأن كلّ كافرٍ بالله سبحانه. وما أروع ما بيَّنه القرآن الكريم من التمثيل ثمَّ تبيين الضلال البعيد حيث قال :

(مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ)

والمقصود من الأعمال هي الأعمال التي تعدّ في نظر الناس من الأعمال الصالحة التي لها ظاهر خلاّب ، لا ما يصدر منهم من الشرور، فهي لا ظاهر لها ولا باطن .

فأعمالهم كالرماد من نواحي مختلفة :

1-لا فائدة في الرماد أصلاً حيث ينتج من الحرق فالرماد ليس هو تراب ولا غبار حتى يمكن الاستفادة منهما ، لأنَّ الرماد ليس إلاّ بقايا الاحتراق بل رماد لا ينبت فيه حتَّى الأعشاب الباطلة .

2-إنَّ ذرات الرماد غير متلاصقة أصلاً و لا يمكن أن تلتصق ولو بمعونة الماء وإن كان يتراءى أنَّها مجتمعة ولكن بمجرَّد أن صادفها ريحٌ، سوف تنتثر فلا يبقى منها شيء. كما أنَّ أعمال الكفّار كذلك، ليس هناك أمرٌ جامع لها، فهي مجرَّد أمور لها ظاهر من غير باطن حيث أنَّ عامل الوحدة بينها هو التوحيد غير المتواجد في أعمال الكافرين .

3-إنَّ الرماد بمجرَّد أن أصابه ريح، سوف تتناثر ذراته فلا تبقى منه شيء، فكيف لو كانت هناك عاصفة فسوف لا يمكن العثور حتَّى على ذرَّة واحدةٍ منها ، وهذا شأن العمل غير الصالح ومن أجل ذلك قال تعالى :

(وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا)

فهم الذين قد خسروا جميع ما عملوه فلم يبق لهم عملٌ يفيدهم :

(قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً ، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا)

ثم

من خلال ما بيَّنا في الأمر الثالث و مع ملاحظة المثال القرآني، يمكننا أن نعرف معنى كثير من الآيات الكريمة و الأحاديث الشريفة ، ففي الكافي عن محمد بن يحيى عن محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن علا بن رزين عن محمد بن مسلم قال :

((قال أبو جعفر عليه السلام : اعلم يا محمد إن أئمة الجور وأتباعهم لمعزولون عن دين الله قد ضلوا وأضلوا ، فَأَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ...))

فتأمل في كلمة "لمعزولون عن دين الله " ، فالولاية الإلهية هي التي تجمع شمل الدين كما ثبت ذلك في محلّه .

وفي تفسير علي بن إبراهيم :

((قوله : "مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ "قال : من لم يقر بولاية أمير المؤمنين صلوات الله عليه بطل عمله مثله مثل الرماد الذي تجئ الريح فتحمله .))

وأما صدق الكافر على المعادي فقد أثبتناه سابقاً مستندين بالقرآن الكريم نفسه وهناك مئات من الآيات التي تثبت هذه الحقيقة .

وربما

أريد من الكفّار، الذين يكفرون بالولاية الإلهيَّة، كما يشهد لذلك الحديث السابق و لقائل أن يقول: إنَّ هناك شاهداً في الآية على ذلك باعتبار أنَّ الذين يطلق عليهم الكفّار، كانوا يتوقّعون الثواب الأخروي على أعمالهم التي يتراءى لهم أنَّها حسنة ، وهذا التصور لا يجرى في الكافر المصطلح، أعني من ينكر الله و المعاد و الثواب والعقاب، فهو لا يتوقّع ذلك. كيف ولا يرى وراء العمل شيئاً اللهمَّ إلا إذا كان من أهل الكتاب وهو خلاف الظاهر، حيث يصرح القرآن بهم حيثما يذكرهم كقوله تعالى : **"يا أهل الكتاب"** وحينئذٍ يخاطبهم لا ككفّار بل كمؤمنين بالله ضالين عن سواء السبيل ، والخطاب كثيراً ما يكون مرناً سهلاً ويشتمل على الموعظة الحسنة .

وأمّا إذا عدَّهم من الكافرين، فيجعلهم في عداد المشركين المنكرين كقوله :

(مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلاَ الْمُشْرِكِينَ ...)

فإذاً الكفّار في الآية، بما أنَّها غير مقيَّدة، لا يقصد منها أهل الكتاب وحينئذٍ سوف يتقوّى الاحتمال من أنَّهم كيف يتوقّعون الثواب والحال هذه ؟! وكيف يشبِّه الله أعمالهم **كرماد ...** وليس لهم عملٌ ظاهر الصلاح كي يشبه الرماد ؟

هذا :

والنصارى أيضاً من المصاديق البارزة للضالين ، وقد أشارت الأحاديث إلى ذلك كما مرَّ وإن كانت درجات الضلال متفاوتة ولكلٍّ جزاء متعلّق به ، قال تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)

3-مسلمون

وأما المسلمون الذين هم معدودون من الضالين فكثيرون ، وفي كلمة واحدة **" كلُّ من انحرف عن الولاية فهو من الضالين ، مهما يكون انحرافه "** إلا أنَّ أبرز الضالين هم :

المنافقون

والمشكلة الكامنة فيهم هي نفس مشكلة الكفّار من حيث عدم تبعيتهم للولاية الإلهية واستبدالهم بولاية الطاغوت حيث قال تعالى :

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا)

والجدير بالذكر ما ورد بعد تلك الآية مباشرة حيث يقول سبحانه :

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا)فالمنافقون قد تورطوا في أبشع مصاديق القبح، حيث جُعِلوا في صف الكافرين، بل وُصفوا بتوصيف لم يوصف به الكافرون حيث قال تعالى :

(وَلاَ يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ...)

والنفاق نمطٌ خاص من الضلالة، يختلف عن الكفر في الدنيا وإن كانا في الآخرة سواء ، وذلك لأنَّ الكافرين والمشركين وجماعة من المسلمين المتظاهرين بالفسق الضالين غير المنافقين (**بالمعنى المصطلح**) يعيشون في الدنيا من غير قلق و تذبذب بمستوى المنافقين، والسرّ في ذلك أنَّهم -رغم انحرافهم عن الصراط المستقيم - يحسبون أنَّهم مهتدون، فهم لا يرون أنفسهم قد ضلُّوا عن السبيل قال تعالى:

(فَرِيقًا هَدَى وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ)

وقال تعالى:

(الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) فهم يتوقعون من أعمالهم أن تكون ذات نتيجة إيجابية، إلا أنَّهم يفاجئون بالإحباط كما مرَّ ، وأمّا السرّ في أنَّهم يحسبون أنَّهم يحسنون صنعاً فهو تزيين العمل السيئ وكأنَّه حسن **(أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ. . .)** والذي يزيِّن لهم، إنَّما هو الشيطان، كما تدل على ذلك آيات متعددة منها قوله:**(. . . وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُون)** وقوله:**(. . . فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ. . .)**

و أمّا

المنافقون فيختلفون عن غيرهم في هذا المجال **(مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَلاَ إِلَى هَؤُلاَءِ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً)**

فهم من حيث أنَّهم مذبذبون لا يسير على الطريق المستقيم، لا محالة من الضالين ، ولكنهم لا يعيشون الظلمة البحتة كي يتأقلموا معها بل هم بين النور و الظلمة فعيونهم بل قلوبهم في شك أو "**مرض**" على حد تعبير القرآن ، وأنّى لهم إصلاحها فكان

بإمكانهم استغلال الفرصة للهداية ولكنَّهم قد خسروا تلك الفرص الذهبيَّة التّي أتيحت لهم فتورَّطوا في الضلال المبين كما قال تعالى:

(أُوْلَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ)

فهم مع علمهم بالضلالة والهدى إلا أنَّهم قد اختاروا الضلالة و رجَّحوها على الهدى ومن هنا صاروا أشدّ انحطاطاً من الكفّار.

(مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَ يُبْصِرُونَ)

هذا

ومن هؤلاء هم الذين ذكرهم القرآن الكريم في سورة الحج حيث قال:

(وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) فمثل هذا الإنسان سوف يقع في وادي الشرك والضلالة لا محالة، فيصل إلى مستوى حيث **(يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُ وَمَا لاَ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ)**

وفي الحديث عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن على بن الحكم عن موسى بن بكر عن زرارة

عن أبى جعفر عليه السلام قال : ((سألته عن قول الله عز وجل : " ومن الناس من يعبد الله على حرف "قال : هم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله ، فخرجوا من الشرك ولم يعرفوا أن محمدا صلى الله عليه واله رسول الله ، فهم يعبدون الله على شك في محمد وما جاء به ، فأتوا رسول الله صلى الله عليه واله وقالوا : ننظر فان كثرت أموالنا وعوفينا في أنفسنا وأولادنا علمنا انه صادق وانه رسول الله ، وان كان غير ذلك نظرنا ، قال الله عز وجل : "فان أصابه خير اطمأن به " يعنى عافية في الدنيا " وان أصابته فتنة " يعنى بلاء في نفسه " انقلب على وجهه " انقلب على شكه إلى الشرك خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه قال ينقلب مشركا يدعو غير الله ويعبد غيره ، فمنهم من يعرف فيدخل الإيمان قلبه فيؤمن

ويصدق ويزول عن منزلته من الشك إلى الإيمان ، ومنهم من يثبت على شكه ومنهم من ينقلب إلى الشرك))

شرح الصدر و ضيقه

الفرق بين المؤمن وغيره، يكمن في باطنهما، فالمؤمن هو الذي يتحلّى بشرح الصدر الحاصل من الارتباط بالنور الذي يمشى خلفه، بخلاف المنافق و الفاسق فإنهما يتّصفان بضيق الصدر وقسوته قال تعالى:

(أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ)

وقال :

(فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ)

ونكتفي هاهنا بما ورد في كتاب روضة الكافي بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل يقول فيه :

((واعلموا أن الله إذا أراد بعبد خيرا شرح الله صدره للإسلام ، فإذا أعطاه ذلك نطق لسانه بالحق وعقد قلبه عليه فعمل به ، فإذا جمع الله له ذلك تمّ له إسلامه ، وكان عند الله إن مات على ذلك الحال من المسلمين حقاً ، وإذا لم يرد الله بعبد خيرا وكّله إلى نفسه وكان صدره ضيقا حرجا ، فان جرى على لسانه حقّ لم يعقد قلبه عليه ، فإذا لم يعقد قلبه عليه لم يعطه الله العمل به ، فإذا اجتمع ذلك عليه حتى يموت وهو على تلك الحال كان عند الله من المنافقين ، وصار ما جرى على لسانه من الحق الذي لم يعطه الله أن يعقد قلبه ولم يعطه العمل به حجة عليه ، فاتقوا الله وسلوه أن يشرح صدوركم للإسلام وأن يجعل ألسنتكم تنطق بالحق حتى يتوفاكم وأنتم على ذلك))

و في مجمع البيان وقد وردت الرواية الصحيحة، إنه لما نزلت هذه الآية، سئل رسول الله صلى الله عليه وآله من شرح الصدر ما هو ؟ فقال :

((نور يقذفه الله في قلب المؤمن ، يشرح له صدره وينفسخ قالوا : فهل لذلك أمارة يعرف بها ؟ قال عليه السلام : نعم ، الإنابة إلى دار الخلود ، والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت))

الكتب و العترة

وبعد أن تبيَّنت لك أهمِّية الولاية في تجميع شمل الدين، بإمكانك أن تعرف مدى عمق ما ورد في الحديث المتواتر بين الفريقين

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلَّم حيث قال:

(إنّي تارك فيكم الثقلين كتابَ الله و عترتي أهلَ بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً وأنَّهما لن يفترقا حتّى يَردا عليَّ الحوض)

فالنتيجة التي بيَّنها الرسول صلى الله عليه وآله أعني لن تضلُّوا بعدي أبداً متوقّفة على التمسك بكلا الثقلين معاً وعليه فمن ترك أحدهما وتمسَّك بالآخر، فقد ضلَّ عن سواء السبيل. وعلى هذا الأساس يمكنك أن تعرف عمق الانحراف في منطق من قال: حسبنا كتاب الله، عندما أراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يكتب كتاباً يمنع الأمَّة من الوقوع في الضلال والانحراف عن الصراط المستقيم :

ففي صحيح البخاري :

((حدّثنا إبراهيم بن موسى حدّثنا هشامٌ عن معمرٍ و حدّثني عبد الله بن محمّدٍ حدّثنا عبد الرزاق أخبرنا معمرٌ عن الزّهريّ عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال لمّا حضر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وفي البيت رجالٌ فيهم عمر بن الخطّاب قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم هلمّ أكتب لكم كتابًا لا تضلّوا بعده فقال عمر إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قرّبوا يكتب لكم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كتابًا لن تضلّوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر فلمّا أكثروا اللّغو والاختلاف عند النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قوموا قال عبيد الله فكان ابن عبّاسٍ يقول إنّ الرّزيّة كلّ الرّزيّة ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم))

وهذا الحديث بهذا النص و السند قد ورد في صحيح البخاري في موارد ثلاثة في كتاب المغازي والمرضى والاعتصام بالكتاب من غير اختلاف إلا يسير ، إلا أنَّه بخصوص كتاب المغازي قال **"فقال بعضهم"** غافلا عن أنَّه قد ذكر اسم القائل في الكتابين الآخرين !

وأيضاً قد أورده مسلم في صحيحه في كتاب الوصيَّة ، وأما أحمد فقد أورد الحديث في موردين وزاد في أحدها: **(فلمّا أكثروا اللّغط والاختلاف وغمّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال:قوموا عنّي))**

هذا و القرآن ينادي :

(إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمْ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا)

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِينًا)

إشكالٌ ورد

يبقى هاهنا سؤال ينبغي الإجابة عليه وهو يتعلّق بالآيات التي تسند كلاً من الهداية والضلالة إلى الله تعالى كالآية السابقة أعنى قوله تعالى

(فَمَنْ يُرِدْ اللَّهُ أَنْ يَهدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ...)

وقوله تعالى

(وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ. . .) (وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ)

وفي الجواب نقول:

1-إنَّ الضلالة قد نسبت إلى الإنسان نفسه كما في الآية المباركة في سورة الحمد وأيضاً قوله تعالى :

(ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ)

2-قد ارتبطت الضلالة بأمور أخرى ترجع إلى العبد نفسه، كما في قوله:

(إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الضَّالُّونَ)

3-تقيدت الضلالة و الهداية بالمشيئة، في آيات كثيرة:

(فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ...)(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ)

4-قد وردت آيات بيَّن الله فيها موقع ومحلّ المشيئة الإلهية وارتباطها بفعل العبد نفسه فقال :

(وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)فالتكذيب بالآيات له تأثير كبير في إضلال الإنسان نفسه . كذلك قوله **(بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنْ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ)** فالله إنَّما أضلَّهم بعد أن مكروا و اتبعوا الشيطان حيث زيَّن لهم مكرهم ، وكذلك مئات الآيات التّي وردت على هذا المضمار .

وحاصل القول، أنَّه تعالى بعد أن هيأ جميع أسباب الهداية للإنسان من العقل في باطنه و الهداة من الأنبياء والأئمَّة عليهم السلام ، وكثيراً من الوسائل الهدائية، فلو أنَّ الإنسان لم يتَّبعها، فسوف يتركه ويخذله و هذا هو الإضلال المصطلح ولابأس بصدوره من الله مادام العبد وصل إلى هذا المستوى من العصيان ، فطبيعي أنه لا يتَّبع من يهديه إلى الصراط المستقيم وبالتالي لا يكون له **إماماً: (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا)**

هذا

ونفس الكلام يجري بالنسبة إلى الهداية حيث يقول تعالى شأنه :

(وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

والجدير بالذكر ما ورد بخصوص قوم ثمود حيث قال تعالى :

(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)

فالمتأمل يعرف المقصود الحقيقي من الهداية وفي أحاديث أهل البيت عليهم السلام قد ورد أنَّ المقصود من "**فَهَدَيْنَاهُم**" **أي** عرفناهم ثمَّ ورد في الحديث :((**فلو جبرهم على الهدى لم يقدروا أن يضلوا))**

هذا :

وقد أنهيت تفسير فاتحة الكتاب في ليلة الجمعة 3 صفر 1419 المصاف 29/5/ 1998 الساعة 2:20 بعد نصف الليل وهو يوم مولد النور الخامس الإمام محمَّد الباقر عليه السلام والحمد لله ربِّ العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.....إبراهيم الأنصاري البحراني -الكويت